(نقد الأيديولوجي في النص الروائي العجائبي : دراسة مقارنة لنماذج مختارة من أعمال ماركيز وفاضل العزاوي الروائية)

The Criticism of Ideology in the Miraculous Narrative Text: A Comparative Study of Marquez and Fadhel Al-Azawi's Selected Novels

أ.د. ايسر محمد فاضل د. خالد جمال حسين

ملخص البحث :

اتجه الروائيون الى العجائبية كممارسة فعلية في الكتابات السردية الحديثة لنقد الواقع المأساوي ، فالعجائبية قد خرجت من رحم المعاناة ، وصيحات الثكلى من المبدعين الذين اسكتتهم سياط الظلمة وأجهزة القمع الفكرية ، لذلك وُظِّفت هذه العجائبية كوسيلة نقدية في المنجز الروائي ، فهي نشيد لهموم الواقع ومحاولة نقده والتعبير عنه ، وبين الاحساس بالملل من التقليد والميل الى التجديد ، جاءت العجائبية فعلا ابداعيا مغامرا ومذهلا ، لتسرد الخارق المتخيل بوصفه توثيقا تاريخا ، وتمزج بين اتجاهين تجمعهما علاقة جدلية وهما : السحري والواقعي ، فاتخذت من المنجز السردي ميدانا لها لما يحمله من مساحة واسعة لاستيعاب الأفكار والرؤى التي نادت بها ، وتوزيعها حسب الأدوار على الشخصيات المتخيلة والأحداث والأزمنة في محتوى هذه الأعمال ، لذلك كانت بعض النماذج المختارة من أعمال غابريل غارسيا ماركيز وفاضل العزاوي السردية عينة للبحث بدراسة وصفية مقارنة ، تجمع بينهما علاقات تواشج توزعت على مساحات من عالم الدستوبيا بمختلف أشكاله ظلما وقمعا وتكميما للأفواه .

الكلمات المفتاحية (العجائبية ، نقد ، أيديولوجية ، ماركيز ، عزاوي)

المقدمة :

- **ظهور العجائبية في الأدب كوسيلة نقدية .**

لقد ظهرت العجائبية في الآداب الغربية الحديثة تقانة فنية جمالية ، ولم تقتصر على جنس بعينه بل اتسع مداها ودخلت في ميدان الأجناس الأدبية ، ويعزو العديد من الكتّاب والنقاد ظهور العجائبية وانتشارها في الفنون الغربية الى القرن الثامن عشر الميلادي ، ولا سيما في انكلترا وفرنسا وألمانيا بعد الثورة الصناعية و التحرر من سلطة الكنيسة (تودوروف ، د – ت : 168) واطلاق العنان للعقل الغربي للبحث والتفكير والمتابعة والنقد ، اذ انّ الافراط والمغالاة في الواقعية والعقلانية كان حافزا قويا ومؤثرا لإيجاد بديلا يحطم التقليد ويقضي على الملل الذي أصاب القارئ ، لذلك عمل الروائيون والادباء عامة على تنمية الوعي الجماعي وتحفيز الفكر وتنشيط الهمم عن طريق احياء وسائل فنية و نقدية ، لفتح منافذ جديدة لرؤية الواقع ومعالجة كل ما يحيط به ، وقد حاولوا التنقيب في الموروث واستنباط الاساليب التي تربط بين ماضي الامم وحاضرها ،

فكانت العجائبية الوسيلة الأنجع في تحقيق هذا الهدف والانتقال إلى النقد المبطّن الذي من الصعب أن يقمع صاحبه في الملاحقة ، فهي وسيلة ينتقد عن طريقها المبدع في الملاحظة والنقد ، فضلا عن كونها أداة لتحريك بواعث التفكير لدى القارئ ودفعه للغوص في أعماق النص واستجلاء مقاصده وغاياته ، لكون الحدث العجائبي في العمل الادبي يصعب " البحث معه عن قوانين الطبيعة أو قبول قوانين جديدة لها تسمح بتغير الظاهرة لكونه فوق مستوى الطبيعة " (عاصي ،2010 : 34) ، وهذا يجعله خاضعا للتأويل والتفسير العميق ، وهو يمثل طريق الابداع للمؤلف والقارىء معاً .

لذلك لا بدَّ من اثارة القارئ وصقله بالرؤى والأفكار التي بإمكانها أن تكوّن لديه الارادة وتحدد موقفه الخاص اتجاه ما يلاقي ويجابه من صعوبات ومعوقات في المجال الاجتماعي وفي والمؤسسات الفكرية والحزبية ، فضلا عن القمع السياسي والديني والجنسي والثقافي لذلك اتجه الروائيون الى " الممارسة الحديثة في الكتابات السردية، في محاولة لتكسير الواقع وتمرير الرسائل والانتقادات على المستوى الاجتماعي و السياسي، من خلال الرمز والإيحاء وليس ذلك هروباً من العالم الواقعي فحسب أو تصويره بأفضل صوره، بل لكشف مألوفيته وزيفيه من خلال الإيغال في فضاءات المتخّيل وانطلاقاً مما يشكله العجيب باعتباره مكونا من مكونات هذا الواقع. " (نوغي ، 2016 – 2017 : 13) ، والعجائبية انتشرت في الاعمال الأدبية فيما بعد الحداثة ، ولا سيما في الجانب الروائي وذلك لأنّ بعض الروائيين حاولوا فتح آفاق جديدة في التعبير ونقد الواقع وذلك عن طريق ايجاد اساليب جديدة تلامس الواقع وتمتزج معه على الرغم من أنّها في بعض الأحيان تكون خارقة للعادة ومخالفة للمألوف الا انّها تدور في فلك الواقع لأنّها تعبر عن أحداث ومواقف مصدرها الحقيقة ومسرحها الواقع « وعلى الرغم من اختراق العجائبية لعوالم الواقع وقوانينه بطريقة تجعلها تبدو غريبة ، إلا أنَّها استطاعت أن تقدم الواقع بطريقة فيها من النضوج مما يشجع على دراستها " (ميا ، 2008 : 193)، فكانت احدى الاساليب التي قصدها الروائيون في نقد الواقع الأيديولوجي المبني على الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية .

والعجائبية طريق كان ملاذ المبدعين لجأوا اليها لأسباب عدة منها فنية تعود الى كسر الرتابة والتقليد في البناء الموضوعي والفني في الرواية الكلاسيكية ، فضلا عن اتخاذها طريقا يلجأ اليه الأديب ليتخفى وراءه خشية بطش وقمع الأنظمة السياسية والدينية في البلدان التي ترضخ تحت حكم يقيّد حرية التعبير ، فيتخذ الروائي من العنصر العجائبي معادلا موضوعيا أو رمزا فنيا يتخندق خلفه ليستهدف كل سياط الظلمة وأنظمة الاستغلال والاضطهاد والقمع ، ومن أجل نشر وعي شامل للمثقف الغربي والعربي لإعادة تركيب العالم داخل رؤية فنية روائية جديدة تولّد احساسا عاما بالمسؤولية وتوجّه المثقف الى أخذ دوره في المجتمع واستثارة الهمم وايقاظ الفقراء والمهمشين ، فالعجائبية وجدت في الفن الروائي تجسيدا لهذا الواقع ،فالروائي أخذ دور الناقد والمحفز فبقدر ما يضع أفكاره وآراءه في تجربته الفنية تكون النافذة المضيئة اتجاه انغلاقات المجتمع .

ومن كل هذا خرجت العجائبية من رحم المعاناة وصيحات الثكلى من المبدعين الذين اسكتتهم سياط الظلمة وأجهزة القمع الفكرية ، جاءت كوسيلة نقدية في المنجز الروائي بين هموم الواقع ومحاولة نقده والتعبير عنه ،

وبين الاحساس بالملل من التقليد والميل الى التجديد ، فكانت فعلا ابداعيا مغامرا ومذهلا ، انّها تسرد الخارق المتخيل بوصفه توثيقا تاريخيا لما حدث ويحدث في الواقع ، وتمزج بين اتجاهين تجمعهما علاقة جدلية وهذان الاتجاهان هما : السحري والواقعي ، (ابو ديب ، 2007 : 11) ، فاتخذت من المنجز السردي ميدانا لها لما يحمله من مساحة واسعة لاستيعاب الأفكار والرؤى التي نادت بها ، وتوزيعها حسب الأدوار على الشخصيات المتخيلة وأحداث ومكونات العمل الروائي في محتوى هذه الأعمال .

وأشهر كتّاب هذا التيار هم خورخي بورخس (1899–1986)، ولاسيما في قصته (كتاب الرمل)، وغابريل غارسيا ماركيز (1927–2014) في روايته ذائعة الصيت (مائة عام من العزلة). وهذه الأخيرة مهدت لانتشار الواقعية السحرية أو العجائبية في الوسط السردي لما حظيت به من انتشار وشهره وما لاقت من استحسان وقبول من قبل المتلقي بمختلف أجناسه وقومياته ، فضلا عن استحسانها وقبولها لدى الروائيين العرب اذ اصبح المنجز السردي العربي أحد ميادين التجريب والتطبيق للعنصر العجائبي اذ تزامن ظهورها مع تحولات السرد العربي في العصر الحديث ولاسيما في ستينيات القرن الماضي، مع حركة التجريب التي جاءت بسبب الظروف الموضوعية التي مرت بها الأمة العربية، وقد كانت هناك جملة من العوامل ساهمت في إبراز تيار العجائبيّة، منها : الواقع العربي المنكسر، الذي يمثل هزيمة نفسية للمثقف الذي يرى واقعا منكسرا بسبب ما أحدثه المستعمر من خراب وما خلّف من نكبات وويلات وحروب ، مما أسهمت هذه العوامل في ابراز العجائبية في الميدان الادبي وتوظيفها كوسيلة نقدية ، إذ أصبحت "وسيلةً فصيحةً للتعبير عن الكوابيس اليومية لهزائم فردية وجماعية، وخوف دائم ومرعب من إمحاء الهوية إثر ضربات خارجية وداخلية متواليتين بالإضافة إلى استيهامات عنيفة تحايث الأحلام المجهضة للكائن العربي" (حليفي ، 1997 : 10)، فلم يعد القاص العربي قادراً على تصوير معاناة الإنسان في عالم شديد التعقيد بالأدوات الواقعية أو التقليدية التي كان معتاداً عليها، ولاسيما بعد أن راح هذا الإنسان يتعرّض إلى سلسلة من الضغوط والإحباط والعذابات التي لا يمكن قهرها أو معالجتها بسهولة، ولذا يسهم البعد العجائبيّ في مواجهة حالة القهر الإنساني اللامعقول عن طريق توظيف الخيال واختراق سكون السطح الواقعي، وهنا يلعب العجائبيّ دوراً شبيها بالدور الذي يؤديه الموقف الكوميدي أو الهجائي من الواقع أو من مظاهر القهر والإحباط ' (ثامر ، 2004 : 87). ومنها ما للعجائبيّة من إسهام في تحرير السرد العربي من الرتابة والتقليدية والفوتغرافية والآلية ويكسبه المزيد من الشفافية والرهافة والفنية، وإنّه يعيد وصل ما انقطع بين السرد العربي الحديث والموروث السردي والحكائيّ العربي القديم ' (ثامر ، 2004 : 87) .

أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

1 – الكشف عن ملامح التأثير والتأثر بين الرواية العربية (العراقية لجيل الستينات) والرواية الأمريكية (أمريكا اللاتينية) شكلا ومضمونا .

2- استجلاء الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية ذات البعد الأيديولوجي من ثنايا النصوص الروائية ، وما يتعرض له الفرد والمجتمع من ضغوطات تفقده حريته وارادته .

3 – الوصول إلى حقيقة نجاح المنهج التجريبي في الأدب ولا سيما في فن الرواية من عدمه ، تحديدا في استخدام العجائبية أو الواقعية السحرية كوسيلة لنقد الواقع وفضحه .

مشكلة البحث :

الاطلاع على الصراع الأيديولوجي في مجتمعين مختلفين ، والتعرف على قدرة واسلوب كل من الروائيين (فاضل العزاوي وماركيز) في عرض الاحداث وتوظيف الصراع بمختلف اشكاله ، وموقفهما من المثقف ودوره في الوسط الاجتماعي ، والوقوف عند نقاط التشابه والاختلاف بين الروائيين في الأسلوب والأفكار فضلا عن اختلاف المجتمعين العربي والغربي بمختلف فئاته وتوجهاته في تعاملهما مع الأحداث الجارية في الوسط الذي يعيشانه .

منهج البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمقارن في التعامل مع النصوص ، فبعد عرض المواقف والأحداث يتم تحليل الأفكار التي تتضمنها النصوص الروائية ، بوساطة الشخصيات الخيالية التي يرسمها الروائيان ، ومن ثم اجراء عملية المقارنة بين الروائيين بعرض نص لماركيز أو عدة نصوص تحمل فكرة واحدة ومقارنتها مع نص آخر للعزاوي يشابهه فكرا واسلوبا أو يخالفه في الأسلوب ويطابقه في الفكرة .

الدراسات السابقة :

لم نقف على دراسة تحمل العنوان نفسه أو أي دراسة تجمع بين الروائيين سواء أكانت دراسة أكاديمية أو حتى مقالات تنشر على مواقع الانترنيت اللهم الا بعض الاشارات الضمنية التي ترد هنا وهناك ضمن بعض المؤلفات التي تشير ضمنا إلى مسألة التأثير والتأثر بين ماركيز والعزاوي ولا سيما في استخدام الواقعية السحرية ، واجتماعهما في نقد الواقع السياسي والاجتماعي وممارسات الدكتاتوريين في مجتمعاتهم ، ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان (أثر غابريل غارسيا ماركيز في الرواية العربية ، د. الرشيد بوشعير) عرض فيها خمسة روائيين عرب قد تأثروا بماركيز وكان العزاوي أحد هؤلاء الروائيين ، وأخذ رواية آخر الملائكة انموذجا بيّن عن طريقها ملامح التأثير والتأثر بين الروائيين ، فيما أشار الناقد العراقي الدكتور نجم عبدالله كاظم في كتابه (أثر الرواية الأمريكية في الرواية العراقية) إلى تأثر العزاوي برواية أمريكا اللاتينية ولم يعطي أي ملامح لهذا التأثر او أمثلة تحدد أماكنه التأثر و الشخصيات الروائية التي تأثر بها .

التمهيد :

مفهوم العجائبية :

لقد عمد بعض الكتاب والأدباء على توظيف العجائبية في اعمالهم وهم يحاولون بناء جمهورية خاصة بهم قائمة على دعامات بعيدة عن الاقصاء وابعاد الآخر ، بهذه الرؤية يمكن أن نحدد الأسباب الأيديولوجية لتوظيف

هذا المصطلح ، والتي تعمل على " تعويض الصورة الثابتة للشخصية والعمل على هدم مرجعياته الواضحة ، ومن ثم اعادة تشكيلها بصورة غرائبية تتجاوز قوانين الواقع والطبيعة (النعيمي ، 2018 : 6) ، ولا يخلو مصطلح العجائبية من الاشكالية والتداخل ولا سيما في الميدان النقدي العربي لاختلاف مشارب النقاد والباحثين العلمية فضلا عن اضطرابات الترجمة والنقل ، إذ يتداخل مع مفاهيم مجاورة له من حيث المفهوم والدلالة كالواقعية السحرية والغرائبية والغرائبي والحكاية العجيبة .. لكن قبل الولوج في توضيح هذه المفاهيم يتوجب هنا أن نعرّج على مفهوم العجائبية مرورا لغويا واصطلاحيا ، اذ تعددت التعريفات التي أوردها النقاد والباحثون لمصطلح العجائبية ، اختلفت باختلاف المعاجم العربية التي تناولت مصطلح (العجيب أو العجائبي) فمنها ما ورد في لسان العرب اذ جاء العجيب بمعنى " النظر الى شيء غير مألوف ولا معتاد " (ابن منظور ، 2009 : 581) ، وهو ما يتبادر الى الذهن لأول وهلة في قراءة المصطلح ، ولا يبتعد كثيرا الاصفهاني الذي يرى أنّ " العجب والتعجب حالات تنتاب الشخص وقت أن يكون جاهلا بالسبب الذي وراء الشيء " (الأصفهاني ، 1412 هـ : 165) ، وفي المفهوم الحديث للعجائبية يربط البستاني العجيب أو العجائبية بالجانب النفسي الذي ينتاب الانسان عندما يتعرض لشيء يجهله ، فضلا عن الروعة والاستعظام الذي يحدثه للنفس البشرية فالعجيب هو " انكار ما يرد عليك واستطرافه ، وروعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء ... والتعجب : انفعال نفسي عمّا خفيّ سببه " (البستاني ، 1998 : 567)، وهنا تكمن قيمة العجائبية كونها " ردة فعل حيال أمر غير مألوف وقليل الوقوع " (غريب ، 2013 : 23) ، لم يقتصر الاهتمام بمصطلح العجائبية على العرب فحسب ، بل خاض في غماره اللغويون الانجليز ، فاذا نظرنا في القواميس الانجليزية نلحظ الاهتمام الواضح بهذا المصطلح فقد جاء مفهوم العجائبي في قاموس (وبستر Webster) بأنّه المغلاة في التطرف والمبالغة في الخيال وصولا الى حد اللامعقول أو الخارق للعادة (morhead, 2006: 316.) وقد جاءت بمعنى الغريب والشاذ أو كل ما يقدّم بصورة بشعة ومضحكة كونه مخالف للعادة و غير مألوف أو عتيق الطراز (VlLTEAN , 1979 : 55) نلحظ أنّ المفهوم اللغوي للعجائبية لا يبتعد معنى ودلالة عن المفهوم الاصطلاحي ولا سيما دخوله في الميدان الادبي اذ أنه يختلط فيها الواقعي بالوهم بقصد الإثارة والتشويق وبث الرعب والخوف الشديدين في نفسية المتلقي، ويتميز هذا الأدب أيضاً بما يطرأ على عوالمه من "ظواهر خارقة لقوانين الطبيعة ، ومن أحداث قائمة على الرعب والقتل والتعذيب والموت المفاجئ ، ومن أمكنة غريبة ، مظلمة ، نائية تعمرها الشياطين والأشباح" (مجموعة من المؤلفين ، 2010 : 218) . اذن بدأ مفهوم العجائبية أو العجيب يتبلور في مخيلة النقاد العرب المحدثين مما صاغوا لها عدة تعاريف فمنها ما جاء على لسان (سعيد علوش) بأنّ العجائبي : " شكل من أشكال القصّ ، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة ن تعارض قوانين الواقع التجريبي" (علوش ، 1998 : 1446) فيما عرفها (ابراهيم فتحي) بأنّها : " سرد قصصي يروي أحداثا ووقائع حافلة بالمبالغة يصعب تصديقها " (فتحي ، 2017 : 143) ولم يقتصر مفهوم العجائبية على المجال الأدبي فحسب بل دخلت في ميادين أخرى واتصلت بمجالات و" مسارات متعددة تستقطب كل ما يثير ويخلق الادهاش والحيرة في المألوف واللامألوف " (حلفي ، 1997 : 29) أما عند النقاد الغرب المحدثين فنقتصر على جهود تودوروف اذ أنّه على الرغم من تعريفه للعجائبية قدّم توضيحا لتداخل العجائبي مع مفاهيم مجاورة كالعجيب أو العجائبية والغرائبي أو الغرائبية.. يميز تودوروف بين ثلاثة مصطلحات وهي العجائبي Fantastique والعجيب Merveilleux والغريب Etrange ، فالعجائبي في الأدب هو إقتحام موضوع – شيء غير مألوف – لحقل الواقعي، إذ يتردد القارىء بين تفسير طبيعي وآخر غير طبيعي للأحداث المعلن عنها، ويرفض التفسير المجازي أو الرمزي للنص (تودوروف ، د – ت : 7) . والعجيب يعني ذلك النوع من الأدب

الذي يقدم لنا كائنات وظواهر فوق طبيعية تتدخل في سير الحياة اليومية للشخصيات، من ذلك حكايات الجنيات والحكايات على لسان الحيوان وحكايات الأشباح وغيرها، وما يميز العجيب ليس الموقف تجاه الوقائع، وإنما هو طبيعة الوقائع ذاتها. والقارئ هنا يعترف بقوانين جديدة للطبيعة فوق طبيعية ليفسر بها الظواهر (علام ، 2010 : 33). أما الغريب وهو نوع من الأدب يجد فيه القارئ عالما يمكن التأكد من مدى تماسك القوانين التي تحكمه ومع إن الأحداث فيه خارقة وغير مألوفة، إلا إن القارئ يمكنه ان يفسرها بقوانين العقل (علام ، 2010 : 33).

المبحث الأول

عجائبية بعث الموتى واعادة الدكتاتورية

لقد تغلغلت العجائبية في المنجز السردي وتنقلت بين مكوّناته وعناصره بحرية، لمعالجة قضايا واقعية وحقيقية ، وبعارة أخرى هي استنطاق واقع تاريخي مأساوي كان يعيشه المجتمع ولا يزال يعاني من مخلفاته وتبعاته ، فكانت نظرت الروائيين لهذا الواقع نظرة تشاؤمية نقدية ، وبرؤية فكرية جسّدت مآسي الفرد و الأفكار التي تتعارض مع السلطة ، فضلا عن نقل الأحداث والوقائع من صراعات وتناقضات حدثت في الوسط الاجتماعي ، فهذه الالتباسات الحاصلة في المجتمع كان لها أثر كبير على الكاتب مما أخذ يعكس عتمة هذا الواقع الذي فقد فيه المواطن مقومات العيش وعانى من التهميش وفقدان الذات ، لذلك حفزت هذه الأحداث ديناميكية العمل السردي وأخذ الروائي ببناء عناصره السردية وفق مسارات زمنية مختلفة ومتباينة قد تتداخل أو تتعاقب أو تتوازى ، الا أنّ هذه الأحداث المأساوية التي نقلها الروائي قد حظيت باهتمام النقاد والباحثين واطلقوا عليها مصطلح (الدستوبيا) الذي يرمز الى المدينة الفاسدة التي تقف بالتضاد مع المدينة الفاضلة ، ومن أبرز ملامح الدستوبيا التهميش ، الظلم ، الفقر، القتل، والواقع المأساوي .

ولعّل من الباحثين من عرّفها بالتضاد من اليوتيوبيا كما هو الحال مع الباحث "سعد محمد رحيم" الذي أطلق على "الدستوبيا" مصطلح "يوتيوبيا مضادة"، انطلاقاً من رواية الكاتب الانكليزي "جورج أورويل 1984م"؛ والتي تناول فيها موضوع النظام الشمولي إذ تقع أحداث ومجريات الرواية في "بريطانيا العظمى"، عالم يعجُّ فيه العنف والقسوة والحرب والتلاعب بمشاعر الإنسانية ،عالم معتم يخفي تحت ستاره كل قساوة الحياة ومآسيها' (رحيم ، 2014 : 51) ، هذه الصورة كانت كافية في احداث ردة فعل من قبل النقاد والباحثين فبرز هذا المصطلح إلى الوجود؛ ليكون عنوانا ورمزا لعالم يقارع الظلم ويجابه مآسٍ وحروب ودمار فباتت هذه المآسي رؤى وأفكارا تختمر في ذهن الأديب حتى نضجت قضايا سياسية واجتماعية حمل فيها لواء النقد والتوعية والتوجيه .

فالكوابيس الدستوبية التي شرع الروائيون برصدها وتمثيلها في المنجز السردي تنطوي تحت طياتها نغمات الحزن والأسى الغارقة في مستنقعات الحياة الدموية نتيجة الصراعات القائمة من أجل الوجود والسلطة وفرض

الرأي الذاتي والعقائدي ، فكان هذا العالم "مدينة دستوبية" على خلاف "المدينة الفاضلة". فالروائي يكتب عن واقع لم يكن منسلخا عنه او افتراضات مستقبلية تخرج من رحم الحلم والخيال ، فكل ما يكتب عبارة عن دستوبيا معيشة لها حقائقها وتداعياتها في الواقع .

لذا ينطلق البحث لمعالجة شكل من الاشكال السردية المتمثل بالعجائبية والتي وظّفت في الاعمال الأدبية لغايات من أهمها هي ترجمة الصراع القائم بين رغبات الانسان والوسائل التي يحقق بها هذه الرغبات ، (حليفي ، 1997 : 228) كما وظّفت لتكون معادلا موضوعيا ورمزا يستتر خلفها حقائق ووقائع مأساوية تحمل بعدا دستوبيا قد أثقل كاهل الروائيين فأرادا أن يضعا هذه الحقائق التأرخية بين يدي المثقف بشكل خاص والمتلقي على وجه العموم ، لذلك سيعمد هذا البحث الى استقراء أعمال الروائيين واستخراج النصوص التي تحمل البعد العجائبي واستنطاقها للوقوف على أهم الملامح النقدية التي تحملها ، ولاسيما أنّ جلّ أعمالهما السردية هي نقد لاذع للمسار التاريخي السياسي ، واستعمال العجائبية في ثنايا هذه الأعمال لم يتأتى من فراغ أو مجرد متعة أدبية فحسب بل هي نقدٌ للممارسات المتبعة من جانب السلطة والتقاعس والخمول من المجتمع ولا سيما المثقف الذي يقع على عاتقه تحفيز المجتمع وتوجيهه ويكون بمثابة حلقة وصل بين الطبقة المسحوقة والمهمشة والسلطة الحاكمة ، لذلك صرّح ماركيز قائلا : " انَّ الحقيقة التي يؤسف لها ، هي أنّ تاريخ أمريكا اللاتينية لم يكن بالتاريخ الذي يتمناه الشعب : فمعظم الدكتاتوريين ينحدرون من طبقات شعبية ولم تطح بهم الشعوب التي كانوا يضطهدونها ، هذا لا يعني أنّ الخرافة انتصرت على التاريخ ، بل انّ التاريخ نفسه هو الذي يتحوّل الى خرافة " (مارتن ، 2010 : 447) ، وهذا التحول يمثل البذرة الأولى التي دفعت ماركيز الى خوض غمار اللاواقعي أو العجائبي لعكس هذا الواقع والتعبير عنه مؤمنا كل الايمان أنّ " هدف الأدب الأساس يتمثل بالكشف عن هذا المسار ، لكنه غير مستعد للخوض في أي تفاصيل أخرى" (مارتن ، 2010 : 447) ، فالعنصر العجائبي بات الوسيلة الأساسية في كيفية تصوير السلطة السياسية والانتقادات الاجتماعية ، اذ انه ليس أداة لإثارة الدهشة والترويح عن النفس فحسب ، بل هو وسيلة لتعميق الرواية الواقعية ،وهو ما نجده في أعمال ماركيز موظفا اجتماعيا وسياسيا وفكريا ' (بوشعير ، 1998 : 63) ،من هنا تنبّه ماركيز مع ما يمتلك من حس سياسي الى الإساءة المفرطة في ممارسة السلطة و مضاعفة آثارها السلبية على سكان أميركيا اللاتينية والمجتمع المحيط به محاولا تحجيم هذا التهميش مع عرض الطبيعة الخبيثة للسلطة وتعريتها أمام المجتمع والقرّاء بشكل خاص للحد من توسعها ، وهو ما نلتمسه في أعماله السردية سيما رائعته (مائة عام من العزلة) " فإن الحجة المركزية هي التأكيد أن عنصرها السياسي هو في النهاية إدانة لإساءة السلطة وخلع الملابس من مثل هكذا انتهاكات في زخارف الديمقراطية. هذا الجانب السياسي هو من الأهمية بمكان عند غارسيا ماركيز ، كشخص اشتراكي محدد ذاتيا ، قد يكون لها نظريا أن تدرج في روايته أجندة أيديولوجية علنية. هذا التباين مثير للاهتمام مع الروائيين الآخرين اتجاه الآراء السياسية التي عقدت بقوة" (O'Keefe , 2018 : 3)، وتلك الصورة غير بعيدة عن الروائي (فاضل العزاوي) الذي اوضح سلطة القمع ورفضه الخضوع يقول العزاوي" في زمن الكراهية والبغضاء والأكاذيب والدماء المسفوحة الآن ، الدماء البريئة التي لا تملك حتى فما تصرخ به ، لا شيء أهم في نظر الكاتب الحقيقي من امتلاك الشجاعة على قول الحقيقة ، لأنّها وحدها الضمان ضد الجريمة ، ومن تمجيد الحياة داخل الخيمة الموت نفسها ، لا شيء أهم من إعادة الأمن إلى القلب المطفأ لشعب جريح

ينزف منذ عقود ، مسحوقا تحت جزمات الدكتاتوريات الدموية وأوهام منقذي الأرواح الضالة " (العزاوي ، 2003 : 15-16)

وهذا التواشج الفكري والتداخل الأيديولوجي للعزاوي دفع فضول الباحث للتتبع خيوط ذلك التماس للوصول الى حقيقة التوافق والتشابه بين ماركيز وفاضل عزاوي من حيث طرح الافكار ونقد الواقع والسلطة ولا سيما الدكتاتورية وأثرها على المجتمع ، وطبيعة البحث اوجبت على الباحث ان يعرض الايديولوجية التي ترمز لها العجائبية بحيث تتناوب النصوص لكلا الروائيين لتتضح الأفكار المعنية بالتحليل والمقارنة وليتسنى لنا الوقوف على أبرز مواضع التشابه والتقارب بينهما في طرح القضايا الايديولوجية ومناقشتها ، ففي رواية خريف البطريك يصّرح ماركيز من بين ثنايا أحداث روايته الخيالية أنّه ليس هناك نهاية للدكتاتورية حتى وان مات الدكتاتور نفسه فالزمن يعيد نفسه مع طغاة أُخر يمسكون زمام السلطة ويعيدون التاريخ ، لذلك يربط ماركيز بين الواقع والعجائبي ليرسم صورة حيّة عن حقيقة الحكم والسلطة والتحكم الايديولوجي في مصير الشعب فالحدث العجائبي بصورة ناقدة لهذا التسلط الذي لا يفتى عن شخص الدكتاتور ، ففي هذه الرواية(البطريك) يكمن في حقيقة الشخصية الرئيسة لها وهي شخصية (البطريك) كما يسميه ماركيز والمتمثلة برتبة الجنرال الحاكم اذ ترك ماركيز هذه الشخصية بلا اسم صريح اذ يقوم الدكتاتور من بين جثث الموتى ويعود الى الحياة مرة أخرى بل مرات متعاقبة ليستمر في ممارسة الحكم ويتضح ذلك في الصفحات الأولى من الرواية وبضمير المتكلم (نحن) فيقول " **في هذا المكان المنيع المحظور ، الذي لم يتمكن من معرفته سوى القليل النادر من الناس ذوي الامتياز ، شممنا للمرّة الأولى رائحة جيف العقبان ... وهناك رأيناه ، هو ببدلته الكتانية الخالية من الشارات ، ولفافات ساقيه ومهمازه الذهبي على الكاحل الأيسر .. كان ممددا على الأرض وساعده الأيمن مثنيٌّ تحت رأسه على هيئة وسادة مثلما تعوّد أن ينام ليلة أثر ليلة كلّ ليالي حياته الطويلة كطاغية متوحد ، وعندما قلبناه لنرى وجهه أدركنا أنّ من المستحيل علينا التعرف اليه ، حتى وان لم تكن العقبان قد نقرت وجهه ذلك أنّ أحدا منا لم يسبق له أن رآه قط ، رغم أنّ صورته الجانبية كانت مرسومة على وجه العملة وقفاها ، وعلى طوابع البريد وشهادات نقاوة الدم وعلى أحزمة الفتق والكتفيات** " (ماركيز ، 2008 : 13) في هذا النص المقتطف من مضمون الرواية يمهّد ماركيز للأحداث اللاحقة والممارسات الايديولوجية التي سيمارسها الجنرال، ولكن مما يّسجل على هذه البداية أنَّها وسمت بحدث عجائبي خارق للعادة فالأموات لا يعودون للحياة وهذا أمرٌ حتمي وقضي به من خالق الكون ، فعودة ميت من الموت أمر لا شك أنّه عجائبي لأنّه يخرق قوانين الطبيعة السائدة في عالمنا (تودوروف ، د – ت : 44) لكن ماركيز هنا جعله حدثا خارقا وعجائبيا لينقد كل ممارسات الظلم والقهر والتهميش والاقصاء فيعود الجنرال الى الحياة بأمر عجائبي " ليستولي على السلطة بالرغم من ضآلة تجربته السياسية ، ويخطط للحكم حكماً دكتاتوريا في بلد مداري على مدى قرنين من الزمن ومن بين الطغاة الذين ينهل منهم غارسيا ماركيز لرسم لوحته المرعبة كل من خوان فيثنيّ غوميث (في السلطة من 1908 – 1953) وماركوس بيريث خيمينيث (1952 – 1958) في فنزويلا وبورفيرو دياث (1884 – 1911) في المكسيك ومانويل ايسترادا كاباريرا (1898 – 1920) في غواتيمالا" (مارتن ، 2010 ، 446).

انّ صورة عودة الجنرالات إلى الحياة هي صورة من الدكتاتوريات التي رسمها العزاوي في رواياته ولا سيما الاسلاف ففي استقراء الرواية الاسلاف يتبين للقارىء النقد الايديولوجي واضحا ، عن طريق بروز أحداث التاريخية والسياسية دارت رحاها في العراق وتحديدا في منتصف القرن العشرين بعدما تعاقبت دكتاتوريات عدة ، فكلما انقضى عهد أحدهم ولد من رحم الأول دكتاتور آخر يعيد ذكرياته ، من هنا شكّلت رواية الأسلاف الميدان الخيالي لهذه الأحداث ، والمتمعن بقراءتها يتيقن عن وجود بعد عجائبي محض ؛لأنَّ الراوي منذ العتبة

الأولى للرواية صرّح قائلا :"**أرجو ألا تستغرب ان كنت قد اخترتك أنت بالذات من بين كل الذين أعرفهم ، وهم كثيرون ، لتكون الشخص الذي أسلمه هذه الرواية التي كثيرا ما فكرت في كتابتها فأخفقت حتى جاء الشيطان وكتبها لي ، تاركا اياها كاملة على منضدتي قبل أن يرحل** " (العزاوي ، 2017 : 12) فأحداث الرواية كتبت بيد الشيطان ثم أرسلت الى بطل الرواية عادل سليم الأمير الذي أخذ دور الراوي المشارك لأحداث الرواية ، فهو من روى أحداث المخطوط الذي أرسله الشيطان والذي تضمن مجمل أحداث الرواية مع أخذ دور البطل والشخصية الرئيسة للرواية ، هذا الاطار العجائبي حمل تحت طياته أحداث عجائبية عدة وأهما عودة الشيوخ الأربعة الى الحياة بعد أن انقضى عهدهم ولم يبق من أثرهم الا الذكريات المفعمة بالأسى والتعسف والظلم ، ثم تولّيهم الحكم مرة أخرى وتعاقبهم على كرسي السلطة مع اتخاذ كل منهم القوة والقهر لتمرير الأيديولوجية التي يحملها وحزبه ، سنشهد توافقا وتقاربا كبيرا بين ماركيز والعزاوي في التمهيد لظهور الجنرالات الحاكمة بعد موتهم واختفائهم ، فكما مهّد ماركيز في رواية خريف البطريك لعودة الجنرالات من دار الحكم أو القصر ووصف معالمه والمشاهد المخيفة فيه ولا سيما جثث الموتى ورائحتهم الكريهة ، اذ يقول الراوي : " **ألقى عادل سليم الأمير نظرة على ما كان قد دوّنه عن يومه الأول الذي أمضاه معهم حين رافق الجنود الذين قصدوا البيت القديم لرؤية ما فيه (حين فتحنا الباب وكسرنا سلسلة القفل المشدودة الى الجدار بركلة رجل عصف بنا تيار من زمن غابر تراكم غباره فوق الأثاث فوضعنا أكفنا فوق أنوفنا لنتقي رائحته المدوخة التي صدمتنا مثل لطمة تفقد المرء صوابه ، فقد تحقق ما كنا فكرنا به ولم نخطئ الظن ما كان يمكن لتلك الرائحة أن تكون رائحة شيء آخر غير موت ، رائحة ماضي لم يترك وراءه سوى ذكريات أشباح اختفت مثلما جاءت وكأنّها لم توجد قط من قبل ، ..)، لقد بعثوا ثانية ، قال لنفسه ، كل ذلك بدا له أمرا خياليا ، لا يكاد يصدق ، فراح يتساءل المرة تلو الأخرى مع نفسه ، كيف تسنى لهم أن يظلوا على قيد الحياة حتى الآن اذا كانوا هم أنفسهم حقا ، كما ادعوا أمامه؟ كل ذلك سبب له بالطبع المزيد من الحيرة وصداع الرأس ، ثم فكر مؤاخذا نفسه : لا ينبغي لي أن أكون متشددا في ما لا يقبل التشدد** " (العزاوي ، 2017 : 216) نلحظ في هذا المشهد التشابه الكبير بين ما عرضه ماركيز في رواية خريف البطريك معالم القصر نفسها رائحة الاموات اللحظات الاولى لعودة الجنرالات والمتمثلة بشخصيات الشيوخ الأربعة ، فهذا القصر هو مقر حكمهم والذي يعصف بذكريات جارحة ومؤلمة للمجتمع وهذا جاء بوصف الراوي فيقول : فالدكتاتور الذي كان الناس يعتقدون بأنه ميت وانقضى أمره عاد الى السلطة لكن عودته لم تكن مباغتة لشخوص الرواية فالصور التي كانت معروضة لهذا الجنرال الدكتاتور في مختلف انحاء الحياة كانت تعطي للمجتمع إيحاءات على أنّ الجنرال لا يزال يمارس السلطة فيقول الراوي: " **عندما التقوا ثانية في ذلك القصر الأثري الذي وضعه المجلس البلدي بكرم تحت تصرفهم ، وهو على أي حال ، القصر نفسه الذي كان ذات يوم مقرا لحكمهم الذي عصفت به الرياح ، وشموا رائحة السلطة الممتزجة بروائح الدم القديم في ساحة الاعدام الواقعة خلف قاعة الموسيقى** " (العزاوي ، 2017 : 217) وفي مشاهد الذكريات المخيفة والقاسية التي لا زالت مترسخة في ذاكرة الناس عن حقيقة الجنرالات ذات الطابع الدكتاتوري يطالعنا ماركيز في رواية خريف البطريك على لسان الشخصيات لينقل هذه الحقيقة قائلا : " **فعودونا منذ طفولتنا على الاعتقاد بأنّه حيٌّ في بيت السلطة ، لأنّ أحدهم رأى مصابيح النور المركز تضاء ذات ليلة من ليالي الحفلات ، وروى أحدهم لقد رأيت العينين الحزينتين والشفتين الشاحبتين واليد المتأملة التي تلوح بالوداع الى لا أحد** " (العزاوي ، 2017 : 218) نلحظ من هذا النص أنّ صورة الجنرال المخيفة وتصرفاته الدموية ما زالت عالقة في مخيلة الناس فشبحه يلاحقهم فلن يتخلصوا منه حيا وميتا . هذه تصورات والانطباعات التي حملتها الاجيال لم تكن مصدرا للقوة ودافعا للعزيمة والتصميم على ازالة هذه الكوابيس بل

كانت مصدرا قويا للضعف والرعب وفقدان الثقة والاحباط. فكانت هذه الهواجس متأصلة في سلوكهم فأصبحت حياتهم غائمة تسودها الضبابية ملّونة بمخلفات الماضي السوداء .

ان هاجس الخوف من الماضي والذكريات المريرة ومخلفات الجنرالات من قتل وتهميش مرّرها العزاوي باسلوب عجائبي ، يقترب فيها من طروحات ماركيز ولا سيما في نقل ردت فعل المجتمع ازاء عودة الدكاتورية وما تركت من أثر مكلل بالخوف والرعب يراود أحاسيسهم ويعاود ذاكرتهم يقول الراوي " **بدأ الأمر فكاهيا بعض الشيء في نظر الجنود وهم شبان ريفيون ارغموا على مغادرة ثكناتهم البعيدة ليحرسوا هذا القصر الذي قطنه ذات يوم أشخاص لم يكونوا يعرفون عنهم شيئا سوى أنهم أبطال . قصص ظلت تتناقل من جيل الى جيل منذ غابر الزمن كانوا جميعا يحملون الاسم ذاته الذي كان يشدّ أحدهم الى الآخر مثلما يشدّ الحبل السري الجنين الى أمه بحيث يبدو للكثيرين شخصا واحدا يتكرر في كل مرّة بطريقة جديدة** " (العزاوي ، 2017 : 213) إنّ صور الجنرالات وأفعالهم بقيت عالقة في أذهان الناس وبقيت هذه الذكريات شبحا مقيما في ذاكرتهم تتناقله الاجيال ، فالقارئ يلحظ النقد لأيديولوجيا الطغاة والاحزاب السلطوية والتي تركت أثرا كبيرا في المجتمع فهي تلقي الفرد في احضان الماضي وتجعله هاربا من مجابهة الفئة الاستبدادية في الحاضر .

بعد أنّ مهدّا لعودة الجنرالات من وصف المكان وعرض معالمه وبعد أنّ صوّرا حالة المجتمع عمدا الى عرض احداث عجيبة أخرى تتعلق بحياة الجنرالات وإعطاء صفاتهم والتصريح بالكيفية التي عادوا فيها الى الحياة وممارسة الحكم ففي رواية خريف البطريك يعرض ماركيز هذه الأحداث بلسان الراوي قائلا : " **وآنئذ اكتشفنا أنقاض العظمة في الحرم المقفر والجسد المنقّر واليدين الانثويتين مع خاتم القيادة في البنصر ،....غير أننا وحتى تلك اللحظة لم نجرؤ على تصديق موته اذ كانت هذه المرة الثانية التي يكتشف فيها في مكتبه وعلى هذا الشكل وحيدا مرتديا ثيابه ميتا ظاهريا ميتة طبيعية خلال نومه ... كانت الأمة لا تزال على قدر كاف من الحياة يجعله يحس بتهديد الموت له حتى في عزلة مخدعه ، الأمر الذي لم يمنعه من الحكم كما لو أنّ قدره كان في عدم الموت أبدا** " (ماركيز ، 2008 : 14) ، اذن هذا الجنرال لم يمت مرة واحدة بل أنّ موته متكرر وعلى الرغم من تكرار هذه الميتات فانّ حكمه باقيا وقائما والخوف من سطوته ما زالت ترهب الناس فلم يقض موته على هذا الخوف الذي خيّم على حياتهم، فهذه الهواجس جاءت ملامحها في متن رواية الاسلاف فيقول الراوي : " **فكّر أنّ كل ذلك كان في الحقيقة فكرة جهنمية مرعبة ومدمرة : أنّ نعيش التاريخ نفسه أكثر من مرة ، أن نشهد ولادة الشخص ذاته مرتين أو ثلاث مرات أو ربما الى نهاية الزمان .... اذ ثمة فرق بين روبسبير الذي لم يظهر سوى مرة واحدة في التاريخ وروبسبير الذي يعود بشكل دائم ليقطع رؤوس الفرنسيين اذ انه ينفي مثل هذا الاحتمال بعكس كارل ماركس الذي يرى أنّ التاريخ قد يكرر نفسه ، في المرة الأولى كواقعة وفي الثانية كمهزلة ... ما كاد عادل يفكّر بكل هذه الاحتمالات التي بدت له سحرية تماما بدون أن يمتلك اليقين حولها حتى قال لنفسه معزيا (الحياة مليئة بالأسرار ، وهنا يكمن سحرها** " (العزاوي ، 2017 : 249) ، تفضي هذه النصوص عن حقيقة مهمة تتعلق بحقيقة الجنرالات بقبالة المجتمع فالخوف من أذى الميت يعطي مؤشرا على كون الشعب في سبات وخمول فعلى الرغم من ضعف السلطة والحكم فلن يحركوا ساكنا ويقضوا على هذا الظلم والجور والتسلط فضلا عن حجم القوة والضغط التي كانت تمارس من قبل هذه الجنرالات الحاكمة مما جعل الناس في خوف وذعر منهم حتى في رأيتهم أمواتا ، وهذا مؤشر خطير على الانهيار الكامل لإرادة المجتمع التي انصهرت مقابل اصرار الجنرال الدكتاتور على الاضطهاد والاستبداد .

وتستمر فكرة تناسخ روح الظلمة في صورة أيديولوجية تثبت مدى استمرارية الظلم على الرغم من تغير هؤلاء الظلمة من حيث الشخصية وبقاء صفة الظلم التي خيمت على المواطن حتى وان توارت جثة الظالم / الحاكم

تحت التراب، فهذه الممارسات المتبعة من قبل الحكام متلاحقة ، فالشعب لا يؤمن بهلاك الحاكم بل أنَّ روحه تنتقل الى جسد آخر لتمارس التسلط والقمع ، فعندما ينتهي عهد أحدهم يجدد اللاحق المآسي نفسها وهذه القضية يعالجها ماركيز في رواية خريف البطريك بأحداث عجائبية ولا سيما موت الجنرال وعودته الى الحياة وممارسة السلطة مرات عدة ، وقد أشار الى ذلك في قول الراوي " **بحيث لم يبقى سواه طافيا على بطنه وحيداً فوق الماء القمريّ لأحلامه ، أحلام الغريق المتوحّد ببزة الجندي البسيط الكتانية ، ولفافتي رجليه الجلديتين ومهمازه الذهبي ، وساعده الأيمن المنثني تحت رأسه على هيئة وسادة ، هذا الوجود المتزامن في كلِّ مكان طيلة الأعوام الحصباء التي سبقت موته الأول** " (ماركيز ، 2008 : 14) فالجنرال الحاكم لم يمت مرّة واحدة بل مرات ومرات تعاقب حكمه على أجيال عدة فالموت والعودة الى الحياة مرة أخرى أمرٌ عجيب وخارق للعادة لكن هنا وظّفه ماركيز كوسيلة نقدية أراد عن طريقها أن يعرض للعالم التاريخ المأساوي لأمريكا اللاتينية والعالم بأسره الذي رضخ تحت أيديولوجيات مختلفة فلم يرسم ماركيز هذه الاحداث العجائبية للمتعة والتسلية بل ذهب أكثر من ذلك فهي الوسيلة النقدية اللاذعة لممارسات أيديولوجية ضاغطة ومهمشة لحرية الرأي والتعبير وفرض الأفكار العقائدية والحزبية ، وقد جاءت مثل هذه الأساليب في متن الرواية ،ومنها ما جاء على لسان الراوي " **سيدي الجنرال يزعقون بما كتب على البالونات من الشرفات يكرّرون غيبا ليسقط القمع الموت للطاغية الموت للطاغية وحتى حرس البيت الرئاسي كانوا يقرؤون في الأروقة بصوت مرتفع اتحاد الجميع دون تميز طبقي ضد استبداد القرون المصالحة الوطنية ضد الفساد وغطرسة العسكر** " (ماركيز ، 2008 : 16) ثم يستمر ماركيز بسرد الميتات المتلاحقة والمتكررة للجنرال فيذكر عن طريق الراوي : " **كان يفاجيء تنفس الحياة اليومية التي تستعيد مجراها الطبيعي كلما صار موته شبيها بميتات أخرى ماضية" (ماركيز ، 2008 : 20)** هذه الاشارات الواردة من أخبار الجنرال والتي تفضي عن الحدث العجائبي المتمثل بموته مرات ومرات ثم عودته الى الحكم ففي النص الآتي يتضح الحدث العجائبي أكثر وأكثر ممزوجا بالنقد الأيديولوجي من نقد السلطة والحكم ونقد الانقسامات الحزبية والمتاجرة بقرار ومصير المجتمع فينقل الراوي العليم تلك الأحداث قائلا " **ليذهب الموت الى الجحيم صرخ ، مغادرا مخبأه متيقنا بحماس من أن ساعته الكبرى أزفت اجتاز القاعات المنهوبة مجرجرا ساقيه المتثاقلتين ، ساقي العائد من موته وهو بين بقايا حياته السابقة ، في الظلمات التي كانت تعجُّ بروائح الزهور المحتضرة وشموع الدفن ، دفع باب قاعة المجلس الوزاري ، واستمع عبر الهواء الدخاني الى الأصوات المنهكة حول طاولة خشب الجوز الطويلة ، ورأى عبر الدخان أن كل من كان يرغب في حضورهم كانوا حاضرين من اللبراليين الذين باعوا الحرب الفيدرالية ، والى المحافظين الذين اشتروها ، جنرالات القيادة العليا ثلاثة من وزرائه كبير المطارنة والسفير (شنونتنر) كلهم مجتمعون من أجل الخديعة نفسها ، متذرعون باتحاد الجميع ضد استبداد القرون لاقتسام غنيمة موته فيما بينهم كانوا غارقين في مستنقعات الجشع بحيث لم ينتبه أحد منهم الى ظهور الرئيس بلا قبر**" (ماركيز ، 2008 : 23) ومما سجّل في رواية (خريف البطريك) هو الرجوع المتكرر للجنرال الدكتاتور وهو المحور الرئيس لأحداث الرواية ، والمغزى الأيديولوجي الذي أراد ماركيز ايصاله بنقد لاذع وبتوظيف العجائبية من اجل النقد للواقع المأساوي، وهذه العودة المتمثلة بالحدث العجائبي تمارس طريقة ديناميكية مختلفة الألحان ومتعددة الصور اذ يتم عن طريقها عكس واقع مرير لمستعمرة أمريكيا اللاتينية التي رضخت قرون عدة تحت وطأة الدكتاتورية والنظام القمعي والخطابات الايديولوجية المهيمنة ، وتفضي هذه العودة العجائبية للدكتاتور عن أحداث ملحمية بحد ذاتها اذ ان تكسّر الخطية السردية للسيرورة الزمنية وتنقلها بين عالمين غيبي وواقعي ، تُنمّي هذه الأحداث التاريخية الممزوجة بالعجائبية المنتخبة من واقع أمريكيا اللاتينية الحس الوطني لدى الشعب وتمنحهم الثقة للمضي نحو الحرية ،

والقضاء على من يقف مع السلطة ويكون أداة بيد الدكتاتور لقمع الشعب الذين هم شكل لهيكلة السلطة والمتواطئون مع الدكتاتورية ويتضح هذا في مشهد عودة الجنرال الى الحكم ، فقد أوعز الى الحرس الرئاسي بالانتقام من الخونة يقول الراوي " **المهرجان الدموي لعناصر الحرس الرئاسي الذين كانوا ينفذون بكل سرور وسرف عظيم سيدي الجنرال أمره الضاري بأن لا يخرج أحد حيّا من مؤامرة الخيانة هذه فقضوا برشاشاتهم على أولئك الذين حاولوا الهروب من الباب الرئيسي واصطادوا مثل العصافير أولئك الذين كانوا يلوحون من النوافذ " (ماركيز ، 2008 : 40)**

الظاهر والواقع من هذه الممارسات تأشر الى أنّ الشيء الوحيد الذي يهم البطريرك هو خلوده في عالم الوجود ومحبّته للسلطة . فيما انّ الخوف من الإطاحة أو التعرض للاغتيال يفسح المجال للعقوبة القاسية للأشخاص المعارضين أو المتخاذلين من أجل ضمان الاستمرار في الحكم و ممارسة القوة **(Yasmin , 2014 : 2)** وهذا يوحي بأنّ ماركيز آمن وأيقن أنّ كل الطغاة والدكتاتوريين في العالم يحملون الصفات نفسها فالممارسات المتخذة ضد الفقراء والمهمشين هي نفسها عند الجميع ، فضلا عن الصفات الخلقية والاخلاقية لهؤلاء الطغاة ، لذلك فصورة الجنرال في رواية خريف البطريك هي صورة للحكم القمعي الاستبدادي في مختلف انحاء العالم على الرغم من أنّ شخصياتها وأحداثها موغلة في الخيال الجامح والواقعية السحرية الا أنّ هذه الشخصيات الخيالية والأحداث منتخبة من واقع أمريكا اللاتينية التي مرت بها أثناء التسلط الدكتاتوري فالشخصيات الدكتاتورية التي وردت في هذه الرواية تعكس واقع شخصيات قد حكمت حقا في كولومبيا نفسها وفي دول أخرى متمثلة بفنزويلا وإسبانيا , اذن هي شخصيات استلهمت من التاريخ والواقع ، وهي حقائق يغرزها ماركيز في ذهن القارئ ليوضّح له حقيقة مفادها أنّ اللحن الدكتاتوري بتعاقب ، والقضية ليست انتهاء عهد دكتاتور في جانب مظلم من العالم ، إنّما هي أكثر تعقيدا وأعمق فلسفة من حادثة موت دكتاتور وعودته للحياة وممارسة الحكم مرة أخرى .

فماركيز مؤمن بأنّ العلاقة بين القامع والمكبوت غالبا ما تكون معقدة ومترابطة فإذا كانت هناك رغبة من البعض في الهيمنة ، فهناك عند الآخرين ميل – ربما حتى الرغبة – أن يردّ بنفس الطريقة فإن البطريرك في الرواية يمثل الطاغية المتغطرس حيث الرغبة في إلحاق الألم بالآخرين وتعذيبهم ان عارضوا أفكاره (**Yasmin ,2014 :3**) فالأصوات المعارضة للسياسة والحكم والأيديولوجية عرضت بصيغة عجائبية من قبل الكاتب اذ استعمل استراتيجيات متعددة للنقد منها العجائبية الساخرة ، يبدو أن ماركيز يتفنن بكيفية تمثيل وانتقاد الطغيان ، ويقدّم السبل التي من شأنها أن تقضي عليهم وتستخدم ضدهم. من أجل كتابة نقد فاضح ولاذع ، يتعين على ماركيز أن يبالغ قدر الامكان باستعمال ما هو مفرط بالفعل بحيث يصبح بشعًا وممتعًا . (Newell , 1996 : 10)

لقد عبّر العزاوي في رواية الاسلاف عن أحداث مشابه لما عرض ماركيز في روايته خريف البطريك نجد الخطاب الثوري والسياسي الذي ذيع على مسامع الحاضرين عرض الأفكار واملائها على الأطياف المختلفة من أتباع السلطة والمجتمع والوفود الاجنبية المساندة والمهنئة للجنرال لتسنمه الحكم اذ يقول الراوي : " **ففي الشهر الثالث من العام الأول من الثورة التي قادها الجنرال القديس ضد العهد الاستعماري ارتقى فجأة ذات يوم سقف سيارته المارسيدس المصفحة وألقى كلمة حماسية أعلن فيها بدء الثورة العالمية التي قال انه سيقودها بنفسه حتى آخر نفس فيه : سوف أمحو كل تاريخ قبلي لأبدأ التاريخ من جديد ... تبارى الشعراء كالعادة في القاء قصائدهم التي يمتدحون فيها الجنرال القديس الذي انتخبته الوفود الاجنبية القادمة من كل**

حدب وصوب رئيسا للعالم ... تساءل الناس مستغربين حتى سمعوا الجنرال القديس نفسه يعلن بلهجة لا تخلو من الحزن ، لقد أحرجتموني أيها السادة عندما انتخبتموني رئيسا للعالم ... ستكون مهمتي الأولى هي القضاء على ملل العالم القديم سوف أقلب لكم كل شيء ، رأسا على عقب" (العزاوي ،2017 : 249) .

فصورة الطاغية المتجدد في رواية الاسلاف لا تبدو غريبة على من اطلع على رواية خريف البطريك أحداثها مستلة من الواقع العراقي ، أغلبها أحداث واقعية دارت مجرياتها في العراق في منتصف القرن العشرين ، اذ عمد العزاوي الى تعجيب الواقع ونقله من حقل المألوف الى آخر خارق للعادة وعجائبي ، اذ صاغ هذه الأحداث بذهن ثاقب مستوعب لجل الاحداث الواقعة في محيطه السياسي والاجتماعي مما يجعل المتلقي في دوامة من التفكير بتفاصيل هذه الأحداث ، ولا سيما عجائبية الشخصيات التي تحمل في تكوينها الشكلي والفكري مفارقات عدة تلامس الواقع في بعض الأحيان وتبتعد عنه في أخرى ، ولا سيما في شخصية الشيطان ودليلة الملاك والشيوخ الأربعة والجنرال المقدس ، في هذه الرواية يتفق فاضل العزاوي مع ماركيز في روايته خريف البطريك في عرض الأحداث السياسية والاجتماعية ونقد الأيديولوجية ، اتبع فاضل العزاوي الاسلوب نفسه الذي اتخذه ماركيز في نقد الايديولوجية ولاسيما نقد الانظمة الدكتاتورية المتعاقبة على السلطة ، فجنرالات فاضل العزاوي في رواية الاسلاف صورة مطابقة لجنرالات ماركيز في روايته خريف البطريك .

اذ استعمل العزاوي الشخصية العجائبية وما يصدر منها من أحداث خارقة لقوانين الطبيعة والوجود لنقد التسلط الأيديولوجي والدعوة الى التحرر من التعسف واثارة الوعي في المجتمع وتوجيه المثقف العربي لرؤية الواقع الذي يفضي عن ضحايا وجلادين و ثورات مندلعة بينهم بين حين والآخر، سببها الدسائس وخيانة الوطن ، ولا سيما في الحقبة الزمنية التي تشمل المنتصف الثاني من القرن العشرين، وأحداث الرواية مأخوذة من مصادر متنوعة منها متضمنة اشارات تراثية وأخرى تستند الى أحداث تأريخية وتعتمد بعضها على رؤى أدبية واعلامية ، تتضح مجملها عن طريق سير الأحداث ضمن المبنى الحكائي للرواية ذاتها .

أنّ موت الجنرالات الحاكمة وعودتها الى الحياة مرة أخرى وتوليها زمام الأمور بالحديد والنار وتسليط السياط على من يعارض أو يرفض فكرة أصبحت وسيلة نقدية مؤطرة بأحداث عجائبية مخالفة للواقع وخارقة لقوانينه عند ماركيز والعزاوي فالشيء المشترك عندهما هو الطريقة التي تعود فيها الجنرالات الى الحكم ثم موت هذه الجنرالات عودتها الى الحياة والحكم بطريقة عجائبية غريبة معالم القصر الذي أصبح موقعا أثريا تملأه جثث الموتى من الناس والحيوانات والطيور ويبقى عالقا في مخيلة الناس صورهم المطبوعة على النقود والمعلقة في الأماكن العامة أخبارهم المثبتة في كتب التاريخ اذ أنّ هذه المشتركات بين الروائيين باتت اطارا صارما في نقد السلطة وأيديولوجيتها وعرض ممارساتهم التي ينوء تحت ضغطها أبناء المجتمع وما خلفته هذه الطبقة الحاكمة من خراب ودمار جرّاء الثورات والانقلابات التي قاموا بها أثناء الحقب الزمنية التي تعاقبوا وتناوبوا فيها على الحكم .

ان الممارسات الايديولوجية للشيوخ الأربعة المتمثلين بالجنرالات في رواية الاسلاف شبيهة بممارسات جنرالات ماركيز في رواية خريف البطريك آنفة الذكر ، وكانت أولى خطواتهم بعد التخطيط هو القاء الخطابات المعسولة على عامة الناس لإيهامهم واقناعهم بأن عودتهم هذه مختلفة عن ما خلّفوه في الحقب الزمنية المنصرمة من ظلم وتهميش يقول الراوي : " **اجتذبت الخطب التي القاها الشيوخ في ذلك الليل على المدينة التي لم تكن قد سمعت خطابا على الطريقة القديمة منذ زمن بعيد الالوف من الشبان ذوي الشعور الطويلة**

والشابات الباحثات عن الهوى فانسلوا خفية من أسرتهم واتبعوا اتجاه الريح التي قادتهم في النهاية الى قصر الذكريات ... استلقى الشبان والشابات على العشب الندي في المروج المحيطة بالقصر .. ورافضين مغادرة المكان قبل أن يسمح لهم بالقاء نظرة ولو من بعيد على شيوخ التاريخ العائدين من موتهم" (العزاوي ، 2017 : 249) ومن الملامح الاولى لتوليهم السلطة تتضح في قول الراوي : **" كان اقتراحا بسيطا في الحقيقة ن اذ كان كل ما ينبغي عليهم فعله خلال أسابيع تداول السلطة في العهد الجديد هو أن يجلس كل منهم على كرسيه في جناحه أو على الشرفة ويلوح بكفه للجماهير التي سوف تمر من أمامه ، رافعة الأعلام والشعارات وهاتفة في حياته هذا الاقتراح أعاد الحياة اليهم فجأة ، صحيح أنه قلّص الحق التاريخي لكل واحد منهم الى الربع ... لم يكن الأمر في واقع الحال غريبا على الشيوخ الاربعة ، فقد كانوا أصدقاء أيضا ذات يوم عندما بدأوا ثورتهم الأولى ، بل انهم دخلوا القصر الكبيرسوية على متن دبابة واحدة وحكموا أيضا سوية قبل أن يوسوس الشيطان في قلوبهم"** (العزاوي ، 2017 : 252) ومن ممارسات الجنرال الملقب بالفلكي قول الراوي : **" حينذاك كان يقول شاعرا بالملل : كفى اكتشافا اليوم حان موعد العمل في السياسة اللعينة التي لابد منها ، ثم يلتفت الى مدير مكتب أمنه الخاص : هل أحضرتم الخونة الذين ألقيتم القبض عليهم اليوم لاستجوبهم بنفسي قبل اطلاق النار عليهم ؟ ، نعم يا سيدي الجنرال انهم ينتظرونك في السرداب نصف موتى ، كان هذا المشهد يتكرر كل ليلة تقريبا "** (العزاوي ، 2017 : 253) أما الجنرال الشاعر فقد كان أكثر قسوة ممن سبقه فيقول الراوي على لسان الجنرال : **" ولكن لماذا لم يكن الناس يموتون بكل هذه الكثرة فيما مضى ، لقد زاد عدد الخونة الذين يعدمون في عهدك يا سيدي " (العزاوي ، 2017 : 158)** ، بعد هذا الجواب الذي تلقاه الجنرال من أحد مرافقيه انزعج من هذا الأمر ، وازداد انزعاجا وتذمرا عندما امر السائق أن يختار له مكانا بديلا يلتقي فيه مع الشعب فأخبره السائق بأنّه لم يبقى شعبا لكي يتفقد أحواله :" **انفجر صارخا ، ما هذا الذي تقوله أيّها الأحمق ؟ أين ذهب الشعب، ارتعب الساق ، انني لا أقول شيئا ، حينذاك تدخل مدير مخابراته موضحا له : أنت تعرف يا سيدي الجنرال أن معظم الشعب استشهد في حروبك المنتصرة ، أما الذين نجوا فقد اكتشفنا أنّهم من الخونة الذين أعدمنا الكثيرين منهم ، فيما فرّ الباقون الى الخارج طبقنا كل ما طلبته منا يا سيدي اذا ما رغب الأعداء فينا فلن يجدوا أمامهم سوى أرض خراب بلا شعب ، لم يعد هناك ما نخاف عليه يا سيدي ، لن يطمع فينا أحد بعد الآن ، زمجر الجنرال آمرا : حسنا حسنا ، دبّروا لي شعبا آخر لأحكمه ، كيف يمكن لي أن أكون رئيسا بدون شعب هذا ما كنا نفكر به نحن أيضا يا سيدي الجنرال " (العزاوي ، 2017 : 158)** ، ولعّل الصورة التي تتجلى في رمزيتها دلالات نقدية للفكر الأيديولوجي قوله (كيف يمكن لي أن أكون رئيسا بدون شعب) يتضح هنا ان الحكّام الدكتاتوريين لا يهمهم وجود الشعب ومصيره وطريقة عيشه بقدر ما هو تلبية غرائزهم من حب السلطة والتحكم بمصائر غيرهم ، وهذه صورة معبّرة عن حقيقة التسلط في الحكم ومدى سطوة هذا القائد الأوحد في تحقيق أحلامه واشباع رغباته ، دون مبالاة لأحد ، ومن هذه الصورة الدكتاتورية للحاكم عند العزاوي يتضح التقارب مع ماركيز في تصوير الطغيان و السلوك المتبع بالقوة والبطش الطرق المستحدثة والمبتدعة للقتل والتهميش والاستبداد مما أخذت هذه الأعمال الخيالية تعجُّ بالأحداث والمواقف القاسية المنتقاة من حوادث اجتماعية وسياسية تزدحم بالأفكار التي تكشف الممارسات السلطوية للطغاة وعكس مؤثراتها على المجتمع ، اعتمد الكاتبان على ما يمتلكان من معلومات هائلة في التاريخ والسياسة فضلا عن كونهما ضالعين في معرفة طبقات المجتمع وعاداتهم وتقاليدهم ، وقد أخذا أيضا بعين الاعتبار الجهات المساندة لهؤلاء الطغاة وأصبحوا أداة للقمع بيد الظلم والطغيان ، فالطبقة الحاكمة تحتاج الى طبقة أدنى منها تخضع لها وتصغي لأوامرها وهذه الطبقة حاضرة وبوضوح في مجتمعات كلا الروائيين ، اذ أنّ الخنوع والخوف من السلطة أصبحت

لديهم عادة وراثية أخذها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم ، وتتضح هذه القضية في الحوار القائم بين الشخصيات اذ ان الابناء يتحدثون عن أخبار الجنرالات وقد صرّحوا بأنّهم سمعوا عنهم الكثير بروايات الآباء والأجداد ، اذن الكاتبان يحثّان على خروج جيل جديد ينهض من الخمول والتقاعس ويرفض كل مظاهر الظلم والطغيان ويقود المجتمع إلى بَرِّ الأمان مما أخذا ينتقدان الواقع متذمران منه .

المبحث الثاني
عجائبية أنسنة الحيوانات والأحداث

لقد تنوعت صور الأحداث والشخصيات العجائبية التي تحمل في طياتها أبعاد أيديولوجية ، فمنها أنسنة الحيوانات والطيور وجعلها تنطق بأفكار سياسية وعقائدية أراد الروائي أن يطرحها في ثنايا النص الروائي ، ومنها الببغاء التي على الرغم من أنّها تحمل ميزة اعادة ترديد الكلام الا انها في النص الروائي تتكلم من ذاتها وتحمل أفكار سياسية استعملها الروائيان لفضح أيديولوجيات متسلطة ، وكشف الصراع السياسي المحتدم في المجتمعات ، ففي رواية الحب في زمن الكوليرا لماركيز والتي تزدحم بقضايا أيديولوجية معظمها تتعلق بالصراع القائم بين الحزب الليبرالي والمحافظين ، تقف الببغاء مع الحزب الليبرالي وتهتف باسمه اذ يتضح هذا المشهد في قول الراوي : " **لم يتمكنوا من الامساك بها طوال ثلاث ساعات ، وقد لجأت الخادمات بمساعدة خادمات الجوار الى كل الحيل لجعلها تنزل ، لكنها بقيت متشبثة بمكانها صارخة وهي تكاد تنفجر من الضحك : يحيا الحزب الليبرالي ، اللعنة ، فاليحيا الحزب الليبرالي وهي صرخة جريئة قد تكلف أربعة سكارى منتشين حياتهم ، ما كاد الدكتور اوربينو يراها بين أوراق الشجر ، حتى حاول اقناعها بالاسبانية والفرنسية بل وباللاتينية والببغاء ترد عليه باللغات ذاتها والتأكيد ذاته ونبرة الصوت ذاتها لكنها لم تتحرك عن قمة الشجرة** " (ماركيز ، 1991 : 30) ، ويتكرر المشهد للروائي ويفوض الببغاء في التعبير عن موقف سياسي يكاد يدخل في تغريب الواقع ومخالفة المألوف على الرغم من وروده واقعيا كما أسلفنا وذلك فيما ذكره الراوي ناقلا هذا الموقف العجائبي : " **فقبل الانتهاء من اعادة الهدوء الى البلاد كانت قاعة الاجتماعات مرمّمة وأكثر بذخا من السابق وكانت هناك أقفاص ملأى بالطيور في كل مكان بغبغاوات الغواكاما الوقحة وببغاوات ملكية تنشد على الكورنيش نعم لاسبانيا ولا للبرتغال**" (ماركيز ، 2008 : 40)، استعمل العزاوي الفكرة ذاتها لعرض قضية أيديولوجية مفادها سخط الناس من الحكومة والتجمعات السياسية التي تقيمها لكن جعل الببغاء في رواية الأسلاف معادلا موضوعيا مرّر عن طريقه رآه وتطلعاته السياسية ، فالببغاء تسخط من الناس المارة من أمامها أثناء الحفل الجماهيري التي أقامته الحكومة اليوتيوبية المفترضة في الرواية ذاتها ويظهر هذا في قول الراوي : " **طوال أيام المهرجان السبعة عاشت بغداد عيدا حقيقيا ، اذ تدفق الناس من الصباح الى الشوارع لرؤية أولئك الغرباء المدهشين الذين طافوا في موكب خاص بهم الشوارع الرئيسية في المدينة ، حاملين العلمين اليوتيوبي والعراقي المرفرفين في الريح تتقدمهم دليلة الملاك .... والى جانبها مدير الشرطة الذي نزع سدارته وراح يحيي بها الجماهير المصفقة على الارصفة .... وأمام الحشود البشرية اصطف رجال الشرطة المرعبون وأصابعهم على زناد بنادقهم ..... وصفق الناس طويلا للفيلة التي اعتلى ظهرها شعراء ألقوا قصائدهم على الناس بأصوات جهورية ، ولكن مما جعل الناس يغرقون في الضحك هو منظر تلك الببغاء الوقحة السيلطة اللسان التي تبادلت الشتائم مع المتفرجين حيث راح البعض يستفزها : (اخرسي ايتها الببغاء الحمقاء) فترد**

عليه : (أبوك هو الأحمق يا حمار " (العزاوي ، 2017 : 185) ، فكلام الببغاء هو صورة لأدلجة الموقف الرافض لشكل الهيمنة والضعف في صوت الشعب ، هذا الصوت الذي يصفق لمن خطف بسمته واعتلى السلطة على أكتافه ، ولعلها صورة نافذة إلى نقد الواقع المرير الذي وصلت اليه الشعوب بأنّها تهتف وتغني لجلاديها ، وهي صورة عززت المتلقي بالصراع السياسي وممارسات الحكومة التي تُحْضِر الناس الى مهرجانات واحتفالات وطنية مرغمين من غير ارادتهم ، وما الببغاء الا صورة عاكسة لحال المجتمع في تلك الحقب الزمنية التي تمثلت في أعمال الروائيين ، اذ أراد كل واحد منهما أن يقول بأنّ المجتمع أصبح كالببغاء يردد الشعارات التي يهتف بها أصحاب القرار والرأي وهم منقسمين ومنجرين وراء الاحزاب السياسية من غير ادراك لظلمهم وخطورة شعاراتهم الهدامة التي لا تعير أهمية سوى مصلحة الحزب ومن يملك زمام الحكم .

من معالم النقد الأيديولوجي في أعمال الروائيين هو نقد الفكر الديني فالأفكار نفسها منتشرة في المجتمعين الغربي والعربي ولا سيما أنّ هذه الأفكار الوجودية والعلمانية " انطلقت من قاعدة غير دينية وبأنّها وظّفت لأهداف سياسية واستعمارية ولذلك خرجت آراؤهم بعيدة عن الواقع وغير مجدية " (جمهري و باقري ، 1981: 8) اذ ان هذه التيارات الفكرية النابعة من المدارس العلمانية والماركسية وجدت لها صدى في الأوساط العربية والاسلامية ، لقد كشف ماركيز عن بعض هذه الافكار التي ألقت بظلالها على الأوساط الغربية والتي تأثرت كثيرا بالتيارات الالحادية وبقيت تعاني من ممارساتها مدة زمنية طويلة ، ومن هذه الصور ما عرضه ماركيز في روايته الشهيرة مائة عام من العزلة : فبعد أن بتعد الناس عن مزاولة الطقوس الدينية قرر الأب نيكانور أن يبني معبدا ، يكون الأكبر في العالم يستقطب الناس اليه حتى من روما نفسها ، ويعيدوا تقديس الرب في أرض انتشر فيها الكفر والألحاد ، وقد جمع الأب الناس وبدأ يلقي عليهم الخطب والطقوس الدينية من البشائر و طول التوسل يقول الراوي :" **وأخيرا عندما بدأ الحاضرون بالتفرق رفع ذراعية للفت الانتباه وقال : انتظروا لحظة سنشهد الآن دليلا دامغا على قدرة الله غير المحدودة ، حمل اليه الصبي الذي ساعده في القداس فنجانا من الشوكولاته الكثيفة ، يتصاعد منه البخار فجرعه دون أن يأخذ نفسا ، وبعد ذلك مسح شفتيه بمنديل أخرجه من كمه ومدّ ذراعيه وأغمض عينيه وعندئذ طفا الأب نيكانور مرتفعا اثني عشر سنتيمترا فوق سطح الأرض كانت وسيلة مقنعة وتنقّل عدة أيام بين البيوت مكررا تجربة الاسترفاع باستخدام منشط الشوكولاته ... ولم يراود الشك أحد في المنشأ الالهي لتلك التجربة ، باستثناء خوسية أركاديو بوينديا الذي تأمل دون تأثر تزاحم الناس المجتمعين حول شجرة الكستاء في صباح أحد الأيام ليشهدوا التجلي مرة أخرى ، اكتفى بالتمطي قليلا في مقعده الصغير ، وهز كتفيه عندما بدأ الأب نيكانور بالارتفاع عن الأرض وارتفع معه الكرسي الذي يجلس عليه ... وكان ان عرف هكذا ان رطانة خوسيه أريكاديو بوينديا الشيطانية هي اللاتينية استغل الاب نيكانور فرصة كونه الشخص الوحيد الذي استطاع التواصل معه ليحاول ادخال الايمان الى عقله المشوش ... لكن خوسيه الح على عدم تقبل مداورات لفظية ولا تحولات شوكولاتية ، وطالب بصورة ديغرتيب كدليل واحد على وجود الرب** " (ماركيز ، 2005 : 104)

انّ فكرة الارتفاع فوق سطح الارض والتحليق في الهواء تعد من الخوارق التي تتعدى قوانين الطبيعة لكنّها أصبحت وسيلة مشتركة عند طوائف معينة في مختلف الأديان لإثبات وجود الخالق أو دليلا على قوة الايمان ، لذلك أثبتت أعمال الروائيين وجود هذه الظاهرة في المجتمعين العربي والغربي وموقف المجتمع منها ، وهذه الأمور الخارقة المتسمة بالعجائبية كشفت عن اتساع الفكر الوجودي ومدى خطره على المجتمع وقد أشرت هذه القضية حسا نقديا مشتركا لدى كل من ماركيز والعزاوي ، ففي فكرة مشابهة عرض العزاوي نقدا أيديولوجيا يهدف الى عرض الصراع العقائدي في القرن العشرين ولا سيما ما يتعلق بوجود الله سبحان الله تعالى اذ أشار

العزاوي الى أفكار الاشتراكيين والشيوعين وموقف الموحدين منهم ، ففي مشهد يدخل فيه برهان عبدالله الى احد المنازل الذي كان مقرا لجمعية (الحياة الآخرة) التي كانت تعمل بالدعوة الى الله ، اذ رأى في الضوء الشاحب شبحا ينزل من سقف الغرفة ثم جلس بين الحاضرين ، وضج الحاضرون بالتكبير والتهليل ، وبعدها يتضح أنّ هذا الشبح يقوم بدور المرشد العام ، فبدأ يخطب في الحاضرين وبدأ خطبته بآيات من القرآن الكريم ثم قال : " **جئت أعلمكم تجارة ما بعده تجارة ، انظروا الى الباعة في السوق ، كيف ينادون على بضاعتهم بأحب الأسماء الى المشترين ، انظروا الى الشيوعين كيف يزينون مبدأهم مغرين الشباب بالاشتراكية ، انظروا الى الغرب كيف يتحدث عن الحرية والديمقراطية ، ان واجبنا هو أن يبيع الاسلام وننادي عليه بأسماء أكثر جاذبية حتى من مسميات الآخرين ، وبعد ساعة أو أكثر من الخطابة ، حول مأساة كشمير وطغيان عبد الناصر في مصر ، ومصدّق في ايران ، طلب من الحاضرين العمل على محاربة الالحاد الذي يعم العالم ، وهو أمر يعتمد قبل كل شيء على الطريقة التي يُثبت بها المرء وجود الله ، لا تدخروا جهدا في الوصول الى مثل هذا الهدف فهو أكثر جدوى من كل العلوم التي تتلقونها**" (العزاوي ، 1992 : 103) فبعد هذا الظهور العجيب للمرشد العام وبعد الخطبة التي القاها والتي تضمنت عدة أدلة وبارهين نقلية وعقلية تثبت وجود الله سبحانه وتعالى والتي تثبت وحدانيته ينتقل المرشد الى عرض مشهدا دراماتيكيا عجائبيا أراد أن يبرهن عن طريقه وجود الله وقدرته ينقل الراوي هذا المشهد : " **ثم نهض وقدّم عرضا أخيرا ، ربما أراد به اثبات وجود الله ، رفع يديه عاليا ، ومدّها الى الأمام ثم راح يرفرف بهما ، مثل عصفور فارتفع في الظلام نحو السقف ، كما لو أنّ قوة اجتذبته اليه ، وهو يقول وداعا ثم اختفى مثل نجمة يحجبها السحاب فجأة ، أو دخان يتلاشى في الفضاء**" (العزاوي ،1992 : 104) ، لم ينتهي التشابه والتقارب الى هذا الحد بين ماركيز والعزاوي في عرض هذا المشهد الذي يحمل تحت طياته نقدا أيديولوجيا عقائديا بل حتى في فكرة عدم تقبل هذه الفكرة من البعض ، ففي المشهد الذي عرضه الأب نيكانور في رواية ماركيز عارضه خوسية أريكاديو ولم يقتنع بهذا العرض ولم يصدق هذه الأفعال وعدّها من أفعال السحرة ، يقابله الرفض نفسه في رواية العزاوي اذ اعترض برهان عبدالله على العرض الذي قدّمه المرشد العام اذ أنّه لم يصدق هذه الأفعال فيقول الراوي : " **في الطريق الى البيت ، فكّر الصبي أنّ هذا لا يثبت وجود الله ففي امكان أي ساحر أن يقدّم عرضا أفضل منه** " (العزاوي ، 1992 : 104) . عرض ماركيز والعزاوي مجموعة من الأفكار التي تتصدى بالنقد الى مظاهر وانقسامات عقائدية فكرية انتشرت في المجتمعات الغربية والشرقية ومناقشتها والكشف عن أهدافها فضلا عن تحديد موقف الانسان الغربي والعربي منها سواء أكان ذلك بصورة مباشرة وصريحة أم ضمنية يستنتجها القارىء عن طريق توظيف الأحداث وأدوار الشخصيات التي تحمل أفكارا ايديولوجية دينية ، ايمانا من كلا الروائيين بأنّ الإيديولوجية الدينية من أقوى الأسلحة النظرية التي يناور بها الناقد لمجابهة الهجمات الفكرية .

عن طبيعة الطروحات الفكرية والسياسية في النصوص السردية برز تغلغل الأيديولوجية بين ثنايا هذه النصوص وبالتالي نقدها عن طريق خلق شخصيات خيالية ومن ثم اعطاها صبغة عجائبية لتتناول العلاقة بين الإيديولوجية والممارسة ، حتى تجاوز الأفكار السطحية والغوص الى مكامن الرؤى والأفكار العالقة في أذهان أصحاب الرأي والسلطة وهذا النقد الفني المؤطر بالعجائبية يعمد الى تخطي المظاهر السطحية للأفكار ، ويهدف الى تغيير جوهري في سلم الهرم السياسي والاجتماعي. اذ تعمد البنية الفوقية الأيديولوجية وما تقوم به من ضغوط فكرية وسياسية للاستيلاء على السلطة والاستحواذ على جميع مفاصل الحكم ، كما يتولى هذا النقد مهمة تحفيز المثقفين والطبقة الواعية لإدراك كل ما يحيط بهم من مؤامرات ودسائس تنكل عليهم حياتهم و

وتحرمهم من ممارسة أبسط حقوقهم ، فالنظرة التي وجهها ماركيز والعزاوي في هذه النصوص ذات الطابع العجائبي نظرة سلبية مما عززت الدافع النقدي لديهم وجعلتهم يستعملون شتى الوسائل من أجل تعرية أصحاب القرار المتسلطين على رقاب الناس وسالبين معظم حقوقهم في الحياة ، وهذه المهمة قد توقعهم في خطر استهداف هذه الجهات لهم فالحاكم الظالم يرى " في الافكار والأيديولوجيات المعادية للاستبداد خطرا كبيرا لا بدَّ من معالجته قبل وقوعه " (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ، 2016 : 151) ، فالأحداث العجائبية الموظفة لنقد الأيديولوجية في أعمال الروائيين ليست افتراضات فنية ولا جمالية لكنها "حقائق" مختارة من الوسط الاجتماعي وتعمل على تفكيك البنى الأيديولوجية الحقيقية التي ينوء تحت ضغطها البسطاء والطبقات المسحوقة من المجتمع كما أنّها ليست تشويهًا مقصودا لتأريخ شخصيات معينة قد تركت أثرا في المجتمع غير انّها نقدٌ يتسم بالشفافية والوضوح ، فالعجائبية اتخذت وسيلة لفضح ممارسات متجذرة في حياة الناس قد سلبت حقوقهم الاجتماعية ، ومن ثم الكشف عن المغالطات السياسية المرتبطة بهيكل أيديولوجي محض مع مناقشة الدوافع التي تقف وراء انتاجها وتصديرها ، وتعطي فرصة سانحة للفرد المثقف للوقوف على مواضع الخلل لكي يتسنى له تصحيح المسار السياسي والحد من سطوته حتى انهاء أزمة الدكتاتورية وما تفرزه من أعمال وحشية بدائية ساعدت على انتشار التخلف والفساد والجريمة في المجتمع .

الخاتمة :

إنّ قضية التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة لم تزل قائمة وفعّالة في المجتمعات فبما أنّه هناك ابداع فلا بد من مصاحبته للأعجاب والتأثر ، وهذه المسألة بطبيعة الحال تعود إلى النفس البشرية التي جبلت على الانبهار والاعجاب بكل ما هو جديد مبتكر أو غريب استعمل ؛ لذلك لمسنا هذا التواشج والتقارب بين العزاوي والماركيز ولا سيما في أعمالهم الروائية التي اتجهت نحو عرض الصراع الأيديولوجي ، وتوظيف الوسائل المتبعة في تصوير هذا الصراع ونقده ؛ لذلك ثبّت البحث بعض اوجه التشابه والاختلاف بين اعمال كلا الروائيين ضمن الثيمة المتبعة في هذه الدراسة ، والافصاح عن مدى وعي الروائيين بواقعهم الذي كانا يعيشانه وما لاحظا من اضطهاد وظلم وعدم مساواة ، والكشف عن رؤيتهما والحلول التي قد طمحا من التوصل اليها عن طريق رسم استراتيجية لمستقبل واعد ، فكانت العجائبية الوهم والخيال الوسيلة الأنجع في مثل الظروف التي عاشها الروائيان . ومن ثم حدد الروائيان أسباب التي دعت إلى نشأة الاضطهاد والتسلط وعلاقته بجدلية العدم والوجود ، وكيفية ظهور مؤشراته على الفرد والمجتمع . متخذان لذلك الوسائل والطرق الحديثة في نقد الايديولوجيا ، مما لقت قبولا لدى المتلقين عن طريق تفاعلهم مع الافكار والرؤى المطروحة في ثنايا الاحداث المتشابكة بين الواقعية والخيال الجامح .

المصادر والمراجع

- ابن منظور ، ج ، (2009) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، (ط 2) ،بيروت ، دار الكتب العلمية .
- أبو ديب ، ك ، (2007) الأدب العجائبي والعالم الغرائبي (ط1) ، دار الساقي بالاشتراك مع دار اوركس للنشر .
- الأصفهاني ، أ ، (1412 هـ) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي (ط 1) ، دمشق بيروت ، دار القلم، الدار الشامية .
- البستاني ، ب ، (1998) محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) ن،(د – ط) ، لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون .
- بوشعير ، ر ، (1998) ، أثر غابريل غارسيا ماركيز في الرواية العربية ، (ط1) ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع .
- تودوروف ، ت ، (د – ت) مدخل الى الأدب العجائبي، ت: الصديق بوعلام، (ط1) ، القاهرة ، دار شرقيات .
- ثامر ، ف ، (2004) المقموع و المسكوت عنه في السرد العربي ، (ط1) ، دمشق دار المدى للثقافة والنشر .
- جمهري و باقري ، م ، (1981) نقد الفكر الديني عند الشيخ مرتضى طهري ، ترجمة ، صاحب الصادق ، (د – ط) المعهد العالي للفكر الاسلامي .
- حليفي ، ش ، (1997) شعرية الرواية الفانتاستيكية (د – ط) ، الرباط ، المجلس الأعلى للثقافة – الرباط.
- رحيم ، س ، (2014) سحر السرد دراسات في الفنون السردية، الرواية، السيرة والسيرة الذاتية، أدب ما بعد الكولونيالية، أدب الاستشراق، (د – ط) ، سوريا ، دار نينوى للدراسات والنشر.
- العزاوي ، ف ، (2003) الروح الحية جيل الستينات في العراق ، سورية (د – ط) : المدى للثقافة والنشر.
- العزاوي ، ف ، (2017) رواية الاسلاف ، (د – ط) بغداد ، منشورات الجمل ، مكتبة الفكر الجديد .

- العزاوي ، ف ، (1992) رواية آخر الملائكة ، (ط1) بغداد ، مكتبة بغداد .
- علام ، ح ، (2010) العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، (ط1) الجزائر) ، منشورات الاختلاف، .
- علوش ، س ، (1998) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة (ط1) ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ودار سوشبريس .
- غريب ، أ ، (2013) السرد العجائبي في رواية الحوت والقصر (لطاهر وطار) انموذجا ، (د – ط) ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي ، كلية الاداب واللغات .
- فتحي ، أ ، (2017) معجم المصطلحات الأدبية (د – ط) ، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين .
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (2016) الظلم في العالم العربي والطريق الى العدل ، (د – ط) ، الامم المتحدة .
- مارتن ، ج ، (2010) سيرة حياة غابريل غارسيا ماركيز ، ترجمة ، د. محمد درويش ، (ط1) مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة ، الدار العربية للعلوم ناشرون .
- ماركيز ، غ ، (1991) رواية الحب في زمن الكوليرا ، ترجمة صالح علماني ، (د – ط) بيروت ، مكتبة نوبل .
- ماركيز ، غ ، (2005) رواية مائة عام من العزلة ، ترجمة ، صالح علماني ، سورية ، دار المدى للثقافة والنشر.
- ماركيز ، غ ، (2008) رواية خريف البطريك ، ، ترجمة ، محمد علي اليوسفي ، (ط 2) المدى للنشر والتوزيع 0
- مجموعة من المؤلفين ، (2010) معجم السرديات ، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، (ط1) .
- النعيمي ، ف ، (2018) العجائبية في رواية الطريق إلى عدن ، (د – ط) ، كلية التربية ، اللغة العربية ، .

الرسائل والدوريات

- ونوغي ، ع ، (2016) البعد العجائبي في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي: أ ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – كلية الآداب واللغات ، ماجستير .

- عاصي ، أ ، (2015) العجائبي في رواية (الناموس) ، مجلة جامعة ذيقار العلمية ، م /10 ، ع / 4، كانون الاول ،2015 .

- ميا وآخرون ، ف ، (2008) العجائبية بين الواقع والخيال ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الانسانية ، امجلد (30) العدد (2) .

مصادر في اللغة الانكليزية

- .morhead, d , (2006) the new American Webster (handy collrge dictionary), the penguin rogrts college thesaurus in dictionary from.

- VILTEAN , B , (1979) . London , Aconcise dictionary of c0rrect English, huder and stawften,.

- Yasmin , t , (. 2014) The Dictator in the Autumn of the Patriarch Sadistic or Masochistic .

- Newell , s , (1996) Nationalism and Satire in Gabriel García Márquez Azzelzman, Patriarch, University of Stirling, July .

- O'Keefe , A ,(2018) The Role of Politics in Gabriel García Márquez's , One Hundred Years of Solitud .